Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وشرعية واجتماعية وكونية، كما بدأت حركة الترجمة التي أمدتها بروافد أصيلة زاخرة، عمقت مجراها، وأخصبت واديها. . . . أمدتها بحكم الهند، وآداب الفرس، وفلسفة اليونان، وناهيك بها من ثقافة منوعة تنضج العقول، وتنمي المدارك، وتوسع الآفاق.

ولم يمض غير قليل حتى كانت هذه المعارف ـ التي زخرت بها العقلية العربية ـ تُمدّ أقلام الكتاب، وتقوّم من أساليب المترسلين، وخير مثل نقدمه لذلك أبو عثمان الجاحظ الذي كان يغرف من كل بحر، ويكتب في كل غرض، ويجلّى في كل ميدان. . . يقول في صفة الكتاب:

(الكتاب وعاء مليء علماً، وظرف حشي ظرفاً، وإناء شحن مزاحا وجداً. . إن شئت كان أبين من سحبان، وإن شئت كان أعيى من باقل. . إن شئت ألهتك طرايفه، وإن شئت أشجتك مواعظه.

ومن لك بواعظ مُلهٍ، وبزاجر مغر، وبناسك فاتك، وبناطق أخرس ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى. آمن من الأمن، وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة. . .)[1].

٢ ـ الحضارة:

استقبل العرب في هذا العصر حضارة جديدة هي مزيج من حضارة الإسلام وحضارتي الفرس والروم. . . هذه الحضارة قد صقلت الأذواق، وهذبت المشاعر، ورققت الحاشية. . ثم هي من جهة أخرى قد نقلتهم من البوادي والقفار إلى القصور والبساتين، والأمن والاستقرار وغيرها من مظاهر الترف التي إذا انعكست بألوانها وأصباغها على ذهن الكتاب استطاع أن ينشىء ويصور، ويتخيل ويبتكر. .

أما الأساليب والألفاظ، في ظل الحضارة، فلن تهدر كالسيل، ولن تعصف كالريح، وإنما لانت بلين الحياة، ورقّتْ برقة الطباع فإذا بها تطرد اطراد الماء، وتمر مر النسيم. .

---

(١) الحيوان حـ ١/٣٨.